



تقشف متقاعد



بعد أن أنهيت معاملة إحالتي على التقاعد رجعت إلى البيت كسير الخاطر، حزينا يائسا، تصطرع الأفكار في رأسي، وتختلط الأسباب والحلول، فلا أستطيع التركيز. دخلت الدار، واستقبلتني زوجتي فرحة مسرورة وقالت: هل قبضت الراتب، ومالك تبدو حزينا؟ فأجبت: تصوري أنني بعد خدمة سبع وعشرين سنة، وأربع شهادات جامعية عليا وثمانية مؤلفات، وخدمة بجد وإخلاص وحرص على الطلاب ونشر العلم، وإعطاء الدروس الإضافية المجانية، يخصص لي راتب لا يكفي لسداد نفقات أسرنا بعد التقاعد! فهؤلاء الذين يضعون الأنظمة والقوانين، هل فكروا في أنفسهم يوم يصيرون إلى ما صرنا إليه؟ في كل بلاد الدنيا يحال الموظف على التقاعد، فيحيا مكرما سعيدا في بحبوحة وسعة، إلا عندنا! قالت لي زوجتي: لا تحزن فلعل الله يفرجها وتغير الحال.

دخلت غرفتي وجلست على طرف السرير أفكر، كيف يمكن أن أتصرف مع الوضع الجديد الذي أصبحت فيه، وخطر لي أن أجد عملا أكسب منه بعض المال، ولكن أي عمل هذا؟ وأنا لا أتقن غير مهنة التدريس، وقد تركتها بسبب خثرة دموية في ساقي، فالعلة لم تزل، والمعلول ما يزال قائما، ولا يمكن أن أعود إلى الوظيفة لأن التقاعد كان بسبب صحي، والمدارس الخاصة لا ترضى بمدرس يلقي الدرس قاعدا يمد رجله على كرسي إضافي.

ومضيت أستعرض في ذهني ما أعرف من المهن، فلم أجد واحدة أصلح لها أو تصلح لي. وخطر لي أن أعود إلى مهنة الكتابة والتأليف والتحقيق التي بدأتها حين تخرجت في الجامعة. لكن ما الفائدة من كتابة المقالات ونظم الأشعار، إذا لم يكن لها مكان في النشر في إحدى المطبوعات، التي سيطرت عليها مجموعات لا تنتظر إلى ما يقدم بعين العلم والمعرفة والإتقان والتدقيق، وإنما تنتظر بعين السياسة التي هي كيلة عمن سار على غير النهج، والتي تقرر الرفض لمن خالف.

وبعد طول تفكير وصلت إلى حلين لا بدّ منهما، أحدهما متعلق بالآخر، فقد قررت وأنا خبير بالمخطوطات وعندي مجموعة منها، أن ألتفت إلى تحقيق كتاب مخطوط، وإن كان



محمد سعيد مولوي - سورية

تستهلك الوافر من الماء والكثير من الكهرباء، ثم إن الورود لن تسقى بالأنابيب، بل سيكون حصة كل أصيص (وعاء ورد) نصف إبريق كل ثلاثة أيام.

علت أصواتنا، فأنا أصبح من جانب، وزوجتي ترد من جانب آخر حين رحت أستبدل المصابيح، ولست أدري وما حفظت ما رشقتني به من الألفاظ والانتقادات، لكن المهم أنني نفذت ما قررت، فأصبح البيت كأنه ملهى ليلي خافت الأضواء يلتقي فيه العشاق، وأصبحت صنايير المياه شحيحة الدر تشبه ضرع الشاة إذا حلبت، ولم تعد تلك الفوهات وهي تهدر بالمياه التي تسمع اصطدامها بجدران المغاسل.

وفي الحقيقة لا بد أن أعترف أنني أحسست نفسي غريبا في بيتي في حالته الجديدة، فعهدي به يتلأأ بالأضواء، وعهدي بموسيقى المياه وهي تتحدر تتعش نفسي وتذكرني بتهدر نبعي عين الفيحة ونهر بردي. وقلت: لا بد سأتكيف مع الظروف الجديدة والقضية قضية وقت!

أويت إلى فراشي باكراً، فقد كانت السهرة مملة مضجرة، ولا سيما أن حرمانا المصون مقطبة الجبين عابسة، لا تتكلم ولا تتحدث، ونسيت أن أرفع زر المنبه كي يوقظني على صلاة الفجر.

أفقت من نومي على صوت المؤذن فنهضت مذعورا، إذ لا بد من الاستعداد للصلاة والذهاب إلى المسجد. ومضيت أمشي مسرعا والإضاءة خافتة، فاصطدمت قدمي بكرسي صغير بجانب الحائط لم أره، فانسفحت على الأرض كالماء، وتلقيت ثقل جسمي بيدي فطار صوابي من ألمي، وعلا صراخي، وأسرعت زوجتي إليّ ملهوفة، فوجدتني مكوما على الأرض وقد أمسكت يدي بأختها وأنا أصبح وأتألم وأتلوى.

ودهبنا إلى المستشفى حين أنارت الشمس الدنيا، فتبين أن أربطة يدي قد تقطعت، ووضع الجبس والضمادات وأمرت بالراحة في البيت، ودفعنا حساب المستشفى، فكان يعادل مصروف ثلاثة أشهر مما حاولت توفيره.

ويا فرحي أنا متقاعد!! ■

اعتقادي أن مردود هذا العمل المادي ضعيف ولا يتناسب مع الجهد المبذول، ولا سيما أن بعض الناشرين، يتمنى أن يحوز على الكتاب وأن يبخسك أجره، مدعيا أن الناس لم يعودوا يقرؤون منذ انتشار الرائي (التلفاز). ولما كان هذا العمل لا يدر مالا إلا بعد الانتهاء من طبع الكتاب، ومثل هذا الأمر قد يستغرق سنتين أو ثلاثا، لذا كان لا بد من الحل الآخر، وهو السير في طريق ضغط النفقات.

جلست إلى زوجتي وقلت لها: أرجو أن تسميعيني جيدا وأن تهمني ما أقول، فإنه لا بد لنا أن نتعاون معا حتى يبعث الله الفرج، وتتغير الحال إلى أحسن..

قالت: قل لي ماذا تريد؟

قلت: لا بد من ضغط النفقات، فإن رسوم الكهرباء والهاتف والماء تفوق الراتب، وهي دائما في صعود وارتفاع، ومن الضروري جدا أن نضغط هذه النفقات وأن نقللها. قالت مستكبرة: وماذا ستصنع يا فالح؟! قلت: أما بالنسبة للكهرباء، فسأبدل مصابيح الإنارة وسألغي بعضها، فالثريا فيها ثلاثون مصباحا، وسأفك المصابيح وأترك أربعة أو خمسة، ولا حاجة لهذا القدر من الإضاءة.

قالت: وماذا نقول للضيف إن جاء؟! أتريد أن تفضحنا أمام الناس؟

قلت: إن كان الضيف سيحضر للتمتع بأضواء الثريا، فإنه سيجد في المسجد مجموعة من الثريات المنيرة، وإن كان قد حضر لزيارتنا فأهلا به ومرحبا.

قالت: وكيف ستستبدل المصابيح، هل ستوقد شموعا وتحول البيت إلى جو عاطفي (رومانسي)؟

قلت: لا، ولكن بدلا من أن يكون هناك في الغرفة مصباحان، كل واحد مثنا شمعة، سأضع مصباحا واحدا بقوة أربعين شمعة، وفي الممرات سأضع نواصات بخمس شمعات.

قالت: ما شاء الله نحن دون تدبيرك هذا مصابون بعمى القلب وضيق الصدر، فإذا جعلتنا نحيا في الظلام فماذا نصنع؟! فتجاهلت الجواب وقلت: أضيفي إلى هذا أن الغسيل سيكون يوما واحدا في الأسبوع من غير راحة أو إجازة،